(من دروس الهجرة: الثقة بنصر الله تعالى)

الحمد لله ربّ العالمين، القائل في كتابه العزيز:« **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**»(الروم: 47) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله. أما بعد،

فسنتحدث اليوم بمشيئة الله تعالى عن درس مهم من دروس الهجرة المباركة ألا وهو: " **الثقة بنصر الله تعالى لعباده المؤمنين**" ، فقد ظل النبي (صلى الله عليه وسلم) في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو قومه إلى الإسلام، فيلاقون دعوته بالاستهزاء، وقرآنه باللغو فيه والتكذيب، وآياته بالتعنت والعناد، وأصحابه بالأذى والعذاب، فما لانت له قناة، ولا انطفأ في صدره أمل.

ولما اشتد أذى المشركين لأصحابه (رضي الله عنهم) كان يوصيهم بالصبر، ويملأ قلوبهم باليقن والثقة بنصر الله تعالى، فهذا خباب بن الأرت (رضى الله عنه) كان المشركون يعذبونه بكي ظهره بالحديد المحمى، فضاق بهذا العذاب المتكرر ذرعاً، قال خباب (رضى الله عنه): « شَكَوْنَا إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا له: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قالَ: « **كانَ الرَّجُلُ فِيمَن قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرْضِ، فيُجْعَلُ فِيهِ، فيُجَاءُ بالمِنْشَارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، ويُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأمْرَ، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**» (صحيح البخاري)

فكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واثقاً في نصر الله دائما، وبدا ذلك واضحاً في رحلة الهجرة حيث كان يكرر ويؤكد: " **إن الله معنا** " . قالها بكل ثقة ويقين لأبى بكر الصديق (رضي الله عنه)، أثناء وجودهما في الغار ومطاردة المشركين لهما. يا أبا بكر:« **لا تحزن إن الله معنا** » .

وحينما خرج الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه أبو بكر(رضي الله عنه) من الغار، وواصلا المسير نحو المدينة أدركهما سراقة بن مالك الذي كان يبحث عنهما؛ للإمساك بهما أو القضاء عليهما؛ لأخذ مكافأة من قريش، فساخت قوائم فرسه في الأرض حتى أيقن بالهلاك هو وفرسه، ويصف أبو بكر (رضي الله عنه) ما حدث مع سراقة ، فيقول: «فَارْتَحَلْنَا بَعْدَ ما زَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بنُ مَالِكٍ، قالَ: وَنَحْنُ في جَلَدٍ مِنَ

الأرْضِ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أُتِينَا، فَقالَ:" **لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ معنَا**"، فَدَعَا عليه رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إلى بَطْنِهَا، أُرَى ، فَقالَ: إنِّي قدْ عَلِمْتُ أنَّكُما قدْ دَعَوْتُما عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللَّهِ لَكُما أَنْ أَرُدَّ عَنْكُما الطَّلَبَ. فَدَعَا له النبي صلى الله عليه وسلم فَنَجَا، فَرَجَعَ لا يَلْقَى أَحَدًا إلَّا قالَ: قدْ كَفَيْتُكُمْ ما هَاهُنَا، فلا يَلْقَى أَحَدًا إلَّا رَدَّهُ، قالَ: وَوَفَى لَنَا. **(رواه البخاري)**

واصل النبي الكريم(صلى الله عليه وسلم) ومعه الصدّيق(رضي الله عنه) المسير إلى المدينة المنورة ، وبعد الوصول قام بتأسيس دولة إسلامية تقوم على مبادئ العدالة والمساواة والإخاء. وأرسى قواعد التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، وتوافد الناس للدخول في الإسلام ، ومن هذا نتعلم أنه مهما تلاحقت المصائب واشتدت الأزمات، يجب على المسلم عدم اليأس، والثقة في نصر الله تعالى، قال سبحانه: « **حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ** »(يوسف: **110**) .

وعلى المسلم أن يعلم أنّه لا بد من التمحيص والابتلاء؛ ليميز الله الخبيث من الطيب، والصابر من المعترض، قال تعالى: « **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** » (البقرة: **214**) .

كما أن الثقة بنصر الله تعالى تتطلب الأخذ بالأسباب والعمل والإعداد الجيد ، ولنا في الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أسوة وقدوة، حيث كان يعتمد على الله تعالى في كل أموره ويثق في نصره وتأييده، ولكنه لم يغفل عن اتخاذ الأسباب والإعداد الجيد؛ لتحقيق الهدف المنشود.

وقد قام النبي (صلى الله عليه وسلم) في رحلة الهجرة بتخطيط دقيق، فاختار رفيقه في الهجرة، وهو أبو بكر الصديق، واستأجر دليلاً ماهرًا بالطرق، وهو عبد الله بن أريقط . واتخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر (رضي الله عنه) تدابير للاختباء في غار ثور لمدة ثلاثة أيام لتجنب ملاحقة قريش، واستخدم كل الوسائل المتاحة لتحقيق الهجرة، مثل الاستعانة بعبد الله بن أبي بكر لتزويدهما بالأخبار ومعرفة ما يفكر فيه المشركون بقريش، واستعان بعامر بن فهيرة لتضليل المطاردين بآثار الأغنام .

وبعد وصول النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة، عمل على بناء مجتمع متماسك من خلال وضع أسس التعايش والتكافل بين المهاجرين والأنصار، وإقامة المسجد، ووضع دستور المدينة، وعلى الرغم من أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) بالأسباب، فقد كان – أيضا– دائم الاستعانة بالله والتوكل عليه في كل خطوة، واثقا في نصره وتأييده ، وهذا هو جوهر التوفيق والنجاح .

نسأل الله أن يفرج الكرب عن المكروبين.. وأن ينصر الإسلام والمسلمين.. وأن يحفظ ديار المسلمين من كل مكروه وسوء .. اللهم آمين .

كتبه: فضيلة الشيخ/ **عنتر بلتاجي العشري**– مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.